

مجمع الأمثال

3759 - ما وراءك يا عصام ؟ .

قَالَ المفضل : أولُ من قَالَ ذلك الحارث بن عمرو مَلِكُ كِنْدَةَ وذلك أنه لما بلغه جَمَالُ ابنة عَوْف بن مُحَلَّبٍم الشَّيْبَانِي وكمالُها وقوة عَقْلِها دعا امرأةً من كِنْدَةَ يُقَالُ لها عَصَام ذاتَ عقل ولسان وأدب وبيّان وَقَالَ لها : اذهبي حتى تعلمي لي عِلْمَ ابنةِ عَوْف فمضتْ حتى انتهت إلى أمها وهي أُمَامَةُ بنتُ الحارث فأعلمتها ما قدمت له فأرسلت أُمَامَةَ إلى ابنتها وَقَالَت : أي بنية هذه خالتُك أَتَتَكِ لتنظر إليك فلا تستُري عنها شيئاً إن أرادت النظر من وجهٍ أو خلق وناطقِها إن استنطقتك فدخلت إليها فنظرت إلى ما لم ترقطُ مثله فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ القِنَاعَ فأرسلتها مثلاً ثم انطلقت إلى الحارث فلما رآها مقبلة قَالَ لها : ما وراءك يا عصام ؟ وَقَالَت : صَرَّحَ المَخْصُ عن الزُّبْدِ رأيت جَبِيْهَةَ كالمِرْآةِ المصقولة يزيناها شعر حالك كأذناب الخيل إن أُرْسِلَتْهُ خِلَاتُهُ السلاسل وإن مشطته قلت عناقيد جَلَاها الوايل . وحاجبين كأنما خُطَّتا بقلم أو سُودَا بحمم تقوَّسا على مثل عَيْنِ طَبِيعَةِ عِبْهَرَةٍ بينهما أنف كحدِّ السيف المَنْعِ حَفَّاتٌ به وَجَنَدَتَانِ كالأرجوان في بياض كالجُمان شُقَّ فيهما فم كالخاتم لذيد المبتسم فيه ثَنَدَايا غُر ذات أشْر تَقْلَسَّبَ فيه لِسَانُ ذُو فصاحة وبيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شَفَتَانِ حَمْرَاوان .

تحلبان ريقاً كالشهد إذا ذلك في رقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدرٍ كَصَدْرٍ تمثال دُمِيَّةٍ وَعَضْدَانِ مُدْمَجَانِ يتصل بها ذراعان ليس فيهما عظم يُمَسُّ ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عَصَبُهُمَا تعقد إن شِئَتْ منهما الأنامل نتاً في ذلك الصدر ثَدْيَانِ كالرَمَّانَتَيْنِ يخرقان عليها ثيابها تحت ذلك بطن طُورِيَّ طَيِّ القَبِاطِيَّ المدمجة كسر عُكْنَاءُ كالقَرَاطيس المدرجة تُحَرِّيطُ بتلك العكن سُرَّةً كالمُدْهُنِ المجلوِّ خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي إلى حصر لولا رحمة الله لَا نَبَتَ رَ لها كَفَلُ يُقْعِدُهَا [ص 263]

إذا نهضت وينهضها إذا قعدت كأنه دِعْصُ الرِّمْلِ لَدَيْ دَه سَقُوطِ الطَّلِّ يحمله فَخِذَانِ لُفَّاسَا كأنما قلبا على نَضْدِ جُمان تحتها ساقان خَدَلَتَانِ كالبرديتين وَشَّيْتَا بشعر أسود كأنه حلق الزرد يحمل ذلك قَدَمَانِ كحذو اللسان فتبارك الله مع صغرها كيف تطيقان حمل ما فوقهما فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها فزوجها إياه وبعث ب صداقها فجهزت فلما أراد أن يحملوها إلى زوجها وَقَالَت لها أمها : أي بنية إن الوصية لو تُرِكَت لِفَصْلٍ أدبٍ تُرِكَت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومَعُونَةٌ للعاقل ولو أن امرأة

استغنت عن الزوج لِغِنْيِ أبويها وشدَّة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقٌ ولهن خلق الرجال . أي بنية إنك فارقوت الجوَّ الذي منه خرَّجتِ وخرَّجتِ العُشَّ الذي فيه درَّجتِ إلى وكر لم تعرفيه وقارين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكا فكوني له أمةً يكنُّ لك عبداً وشريكاً يا بنية احملي عني عَشْرَ خِصَالٍ تكن لك ذخراً وذكراً : .

الصحة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهُّد لموقع عينه والتفقُّد لموضع أنفه فلا تَقَعْ عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا طيبَ ريح والكحلُّ أحسنُ الحسن والماء أطيبُ الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدو عنه عند منامه فإن حرارة الجوع مَلْهبة وتنغيص النوم مَدِغْضة والاحتفاظ ببيته وماله والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ولا تُفْشِي له سراً ولا تعصي له أمراً فإنك إن أفشيت سرَّه لم تأمني غَدْرَه وإن عصيت أمره أو غرَّرت مَدْرَه ثم اتَّقي مع ذلك الفرح إن كان ترحاً والاكْتئاب عنده إن كان فرحاً فإن الخلطة الأولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني أشدَّ ما تكونين له إعظماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة واعلمي أنك لا تَمْلَيْن إلى ما تحبين حتى تُؤْثِرِي رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت وإيَّ يَخِيرُ لك فحملت فسُلمَت إليه فعَطُمَ مَوْقِعُهَا منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن .

وروى أبو عبيد " ما وراءك " على التذكير وقال : يُقال : إن المتكلم به النابغة الذُبْيَانِي قاله لعصام بن شهبر حاجب النعمان وكان مريضاً وقد أُرْجِفَ بموته فسأله النابغة عن حال النعمان فقال : ما وراءك يا عصام ؟ [ص 264] .

ومعناه ما خلا فلك من أمر العليل أو ما أمامك من حاله ووراء : من الأضداد .

قلت : يجوز أن يكون أصل المثل ما ذكرت ثم اتفق الاسمان فخُوطِبَ كُلُُّ بما استحق من

التذكير والتأنيث